وعن علي بن أبي طالب، عن درة بنت أبي لهب، قالت: قال رسول الله ﷺ: (لا يؤذى حي بميت)[1]، رحمها الله تعالى.

السيدة ذُرة امرأة من أصحاب النبي ﷺ

وهي غير منسوبة، كما ذكر ابن الأثير في «أسد الغابة» ثم قال: روى عنها محمد بن المنكدر، وزيد بن أسلم، روى أبو النصر هاشم بن القاسم، عن أبي جعفر الرازيّ، عن ليث، عن محمد بن المنكدر، عن ذُرَّة أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (أنا وكافل اليتيم له أو لغيره، كهاتين في الجنة) - وأشار بأصبعيه - (الساعي على الأرملة والمسكين كالغازي في سبيل الله تعالى، وكالقائم الصائم الذي لا يفتر)[2]، أخرجه ابن منده وأبو نعيم. وهذا الحرف في الاستيعاب خال من النساء.

السيدة الرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ رضي الله عنها

أخرج أبو عمر بن عبد البر في «الاستيعاب»: [لها صحبة ورواية، روى عنها أهل المدينة. وكانت ربما غزت مع رسول الله ﷺ. قال أحمد بن زهير، سمعت أبي يقول: الرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ ابن عفراء من المبايعات تحت الشجرة.

ذكر الزبير، عن عمه مصعب، عن الواقدي، قال: كانت «أسماء بنت مُخَرِّبة» تبيع العطر بالمدينة، وهي أم «عياش» و «عبد الله» ابني أبي ربيعة المخزومي، فدخلت «أسماء» هذه على «الرُّبَيِّع بنت معوِّذ ابن عفراء» ومعها

(1) الاستيعاب (4/ 1836).
(2) أسد الغابة (5/ 279) والإصابة (4/ 299).

عطرها في نسوة. فسألتها فانتسبت «الرُّبَيِّع بنت معوِّذ»، فقالت لها أسماء: «أنت ابنة قاتل سيده؟ - تعني: «أبا جهل» -.

قالت الرُّبَيِّع: فقلت: بل أنا ابنة قاتل عبده. قالت: حرام عليَّ أن أبيعك من عطري شيئاً، قلت: وحرام عليَّ أن أشتري منه شيئاً، فما وجدت لعطر نتناً غير عطرك، ثم قمت، وإنما قلت ذلك في عطرها لأغيظها.

قال موسى بن هارون الحمال: «الرُّبَيِّعُ بنت معوِّذ ابن عفراء قد صحبت النبي ﷺ، ولها قدر عظيم.

وروي أن النبي ﷺ أتاها يوم عرسها فقعد على موضع فراشها، وروي عنها أنها أتت النبي ﷺ بِقناع - بطبق - من رُطَب وآخر من عنب، فناولها النبي ﷺ حلياً أو ذهباً، وقال: (تحلَّيْ بهذا).

وروي عنها: أن النبي ﷺ توضَّأ عندها، وأنها سكبت عليه الماء لوضوئه، وأن ابن عباس أتاها فسألها عن وضوء رسول الله ﷺ، وأن ابن عمر أتاها فسألها عن قضاء «عثمان» حين اختلعت من زوجها][1].

وصفها للنبي ﷺ: قال أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر: «قلت للرُّبَيِّع: صفي لي رسول الله ﷺ، فقالت: يا بني! لو رأيته لرأيت الشمس طالعة».[2]

روايتها: روى عنها من التابعين: سليمان بن يسار، وعباد بن الوليد، وأبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، وغيرهم. رحمها الله تعالى.

(1) الاستيعاب (4/ 1837).
(2) أسد الغابة (5/ 281-282).

السيدة الرُّبَيِّعُ بنت النضر رضي الله عنها

نسبها: اسمها «الرُّبَيِّعُ» وأبوها «النضر بن ضمضم»، ولها أخوان: «أنس ابن النضر» و «مالك بن النضر» أما«أنس» فلم يشهد بدراً، لأنه كان من الذين يرون أنه لن يكون قتال، ثم أتى رسول الله ﷺ، وقال له: يا رسول الله! غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرينَّ الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد، استقبله «سعد بن معاذ» فقال: يا سعدُ بن معاذ!، الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد، ثم قاتل حتى سقط شهيداً، فوجدوا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة بالرمح، أو رمية بالسهم، ومثل به، فما عرفه أحد إلا أخته «الرُّبَيِّع» عرفته من أثر في بنانه. وأما أخوها «مالك بن النضر» وهو زوج «أم سُلَيم» وأبو ولديها«أنس» و«البراء» فقد غاضب امرأته لإسلامها في غيابه، ثم تركها وخرج، فقتل كافراً.

و «الرُّبَيِّع» أنصارية من بني عدي بن النجار، استشهد ابنها «حارثة بن سراقة» بين يدي رسول الله ﷺ ببدر، وقد أخرج البخاري، عن حُمَيد قال: سمعت أنساً رضي الله عنه يقول: أصيب «حارثة» يوم بدر وهو غلام، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله! قد عرفتَ منزلة «حارثة» مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكن الأخرى تر ما أصنع، فقال: (ويحك، أوهَبِلْتِ؟ أو جنةٌ واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة، وإنه في جنة الفردوس)[1].

خبر القصاص من أختها: وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن ثابت، عن أنس أن أخت «الرُّبَيِّع» -أم حارثة-، جرحت إنساناً، فاختصموا إلى النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «القِصاص، القِصاص» فقالت «أم الرُّبَيِّع» يا رسول الله! أيقتص من فلانة؟ والله لا يقتص منها، فقال

(1) صحيح البخاري (3761).

النبي ﷺ : (سبحان الله ! يا أم الربيع! القصاص كتاب الله)، قالت: لا والله! لا يُقْتَصُّ منها أبداً، قال: فما زالت حتى قبلوا الديّة، فقال رسول الله ﷺ: (إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأَبَرّه)[1]. رحمها الله تعالى.

السيدة رفيدة الأنصارية رضي الله عنها

أخرج ابن الأثير في «أسد الغابة»: [رفيدة الأنصارية، وقيل: الأسلمية، أخبرنا عبيد الله بن أحمد بإسناده عن يونس، عن ابن إسحاق قال: وكان رسول الله ﷺ حين أصاب «سعداً» السهم بالخندق، قال لقومه:

(اجعلوه في خيمة «رفيدة» حتى أعوده من قريب)[2]. وكانت امرأة من أسلم، في مسجده، فكانت تداوي الجرحى. وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضَيْعَةٌ من المسلمين، وكان رسول الله ﷺ يمر به، فيقول: (كيف أمسيت؟ وكيف أصبحت؟) فتخبره.

وشهدت «رفيدة» رضي الله عنها بيعة النساء لرسول الله ﷺ، وكانت فيمن بايعنه يومئذ. ولقد كان اختيارها عمل مداواة الناس حسناً، فما أنبل من يخفف آلام الناس، ويوفر لهم الراحة، ويدخل السعادة إلى نفوسهم! رحمها الله تعالى.

السيدة رقية بنت محمد ﷺ

هل أتاك حديث الشابة الحسناء، المتفردة في الجمال والبهاء، التي عزَّ نظيرها بين النساء؟ إنها «رقية» بنت صفوة الأنبياء، و «خديجة» أصدق

(1) صحيح مسلم برقم (24/1675).
(2) أسد الغابة (5/283).

الوزراء، وهي الدرة الثانية، والجوهرة الغالية، التي أهدتها أم المؤمنين، لأعظم المرسلين، وما إن نزل الوحي على رسول الله ﷺ برسالة الإسلام، حتى بادرت «خديجة» وبناتها لتصديقه والإيمان بما جاء به، ومساندته ضد أعداء الله والدين، رضي الله عنهن أجمعين.

زواجها: لما تفتحت أنوثة «رقية» وأختها «أم كلثوم» رضي الله عنهما للحياة، وأصبحتا أهلاً للزواج، جاء عم أبيهما «أبو لهب بن عبد المطلب» لهما خاطباً، لابنيه «عتبة» و «عتيبة» وتمت الموافقة والقبول، من قبل أكرم رسول، وتمت الخطبة في الجاهلية ولكن شاء الله لهما غير ذلك، ونجى «رقية» و «أم كلثوم» من المهالك، لما أراد الله بهما من الإكرام، وتجنيب ابنتي نبيه عليه السلام ما كانتا ستلقيانه في بيت ابني «أبي لهب» من الأذى والآلام. فما الذي جرى وكان، حتى تبدَّل الحال والشان؟ وبعد نزول الوحي على رسول الله ﷺ أمره مولاه، جلَّ في علاه، أن يصدع لأمره، فيدعو الناس إلى عبادة الله، ونبذ كل معبود سواه، وأن ينذر عشيرته الأقربين، ويحذرهم - لو خالفوه- من سخط رب العالمين. ولما أبدى ﷺ لقومه دعوته الغَرَّاء، ناصبوه العداء، وأظهروا له البغضاء، وتولوا عنه معرضين، واعتبروه من الكاذبين، بعد أن كانوا يلقبونه بالصادق الأمين -.

فما الذي غيَّر حالهم، وسَعَّر غيهم وضلالهم؟ إنه الكِبْر والعناد، وهجر سبيل الرشاد، وإيثار عبادة ما نحتته أيديهم من الحجر، على عبادة فاطر الأكوان، وبارىء الخلائق والبشر، جهالة جهلاء، وضلالة عمياء، عاشوا فيهما سادرين، وليس لهم معين، إلا إبليس وأتباعه الشياطين. حتى إذا أشرقت شمس الإيمان، وغطت الجبال والوديان، أغمضوا أعينهم وآثروا محاكاة العميان، إلا من رحم الله وشمله بالإحسان.

كان «أبو لهب» وامرأته «أم جميل» من ذوي القربى، وقد أبديا لرسول الله ﷺ العداوة الأشد والأنكى، حتى صدق فيهما قول من قال:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

إنه عم رسول الله ﷺ وامرأة عمه، وولداهما وصهراه، لقد خذلاه وكان من حقه عليهما أن ينصراه، ولكن سبق عليهما القلم بأنهما من أهل النار، وبئس المآل والمصير والقرار.

وفكر الخبيثان أن أوجع ما يلحقانه برسول الله ﷺ من الأذى أن يأمرا ولديهما بفراق ابنتي رسول الله ﷺ والخبيث لا خير في فكره وتفكيره، فكل إناء بالذي فيه ينضح. ولما أجمعا أمريهما على تلك الفكرة الخبيثة، دعا «أبو لهب» ولديه «عتبة» و «عتيبة» وقال لهما: رأسي من رأسيكما حرام إن لم تفارقا ابنتي «محمد» ﷺ ففارقاهما في الحال. وقد أخرج المحب الطبري في «ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى» عن عائشة رضي الله عنها قالت: أتت قريش «عتبة بن أبي لهب» فقالوا: طلق بنت «محمد» ونحن نزوجك أي امرأة شئت من قريش، فقال: إن زوجتموني ابنة «أبان بن سعيد بن العاص» أو ابنه «سعيد بن العاص» فارقتها فزوجوه ففارقها، ولم يكن دخل بها، فأخرجها الله من يديه، كرامة لها وهواناً له، وخلف عليها «عثمان بن عفان»[1].

وكان زواج «عثمان بن عفان» رضي الله عنه من «رقية» رضي الله عنها بوحي من الله تعالى، فقد ورد في الحديث، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله أوحى إليَّ أن أزوج كريمتي عثمان بن عفان)، خرجه الطبراني.

كانت «رقية» رضي الله عنها بارعة الحسن، رائعة الجمال، وراح النسوة ينشدن في حفل زفافها من «عثمان» رضي الله عنهما:

أُحْسَنُ شَخْصَيْنِ رَأَى إِنْسَانُ رُقَيَّةُ وَبَعْلُهَا عُثْمَانُ

وكانت أم المؤمنين «السيدة خديجة» رضي الله عنها جد سعيدة بهذا الزواج المبارك لما تعرف من مناقب صهرها، وحب رسول الله ﷺ له، ورضاه عنه.

(1) ذخائر العقبى (162-163).

وقد أخرج البغوي في معجمه كما ذكر المحب الطبري في ذخائره[1]: عن أسامه بن زيد، قال: بعثني رسول الله ﷺ بصحْفَةٍ فيها لحم إلى «عثمان»، فدخلت عليه فإذا هو جالس مع «رقية»، ما رأيت زوجاً أحسن منها، فجعلت مرة أنظر إلى «عثمان» ومرة أنظر إلى «رقية» فلما رجعت إلى رسول الله ﷺ، قال: (دخلت عليهما؟) قلت: نعم، قال: (هل رأيت زوجاً أحسن منهما؟) قلت: لا، وقد جعلت مرة أنظر إلى «رقية» ومرة أنظر إلى «عثمان».

إنهما زوجان فريدان، أَلَّف بين قلبيهما الرحمٰن، وما شاء الله كان، لكن السعادة التي لفتهما بملاءتها لم تدم طويلاً، وما ذاك إلا لأن قريشاً شدَّدت وطأتها على أصحاب رسول الله ﷺ، وتمادت في إيذائهم، مما اضطر رسول الله ﷺ أن يأذن لهم في الهجرة إلى بلاد الحبشة، ففيها ملك يدعى «النجاشي» لا يظلم على أرضه أحد.

الهجرة إلى الحبشة: وتجهز المهاجرون للرحيل، وكان في طليعتهم الزوجان الكريمان، «رقية» و«عثمان». ووقفت سيدة النساء وخير العباد، ليودعا فلذة الكبد، ومضغة الفؤاد، ولم يكن في طاقة أحد أن يحبس العبرات، ويكتم الحسرات، لأن الموقف عصيب، والوداع رهيب. وما الذي كان بوسع «خديجة» - أم المؤمنين - أن تفعله لتحول دون سفر ابنتها وبعدها عنها؟ إن كشف الكرب عن أهل مكة لا ريب فيه، ولكن علم ذلك عن من لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وانطلق المهاجرون مشيعين بأطيب الدعاء، وأصدق الرجاء، إلى مسبغ النعماء، أن يبلغهم إلى مُهَاجَرهم سالمين، ويردهم إلى وطنهم غانمين وهل يرجى غير هذا من رسول رب العالمين؟.

ووصل المهاجرون إلى الحبشة، فوجدوا فيها عبير الحرية، وتنفسوا الصعداء، وراحوا يعبدون الله دون كدر ولا عناء، ورأوا فيها أحسن جوار،

(1) ذخائر العقبى (162).

من خير جار، ولمسوا من كرم «النجاشي» ما لا مثيل له في الأحلام، فقد أحسن وفادتهم وأكرمهم غاية الإكرام، وكان أعظم ما فاجأهم به دخوله في الإسلام، واتباعه لخير الأنام، عليه أكمل الصلاة وأزكى السلام.

وعلى أرض الحبشة، ولدت «رقية» لعثمان مولوداً سمَّياه «عبد الله» فملأ حياتهما بالبهجة والسرور، وغمرها السعادة والحبور. وشاء العليم الخبير أن يكون عمر «عبد الله» قصيراً فحين بلغ السادسة من العمر، نقره ديك في عينه، فتورم وجهه ولم يلبث أن فارق الحياة، فحزن عليه أبواه كثيراً، ولم تحمل «رقية» بعده حملاً آخر، وكان «عثمان» يكنى في الجاهلية بأبي عمرو، ولا عمرو عنده، حتى إذا أنجبت له «رقية» ولده «عبد الله» كُنِّيَ بأبي عبد الله، وصارت «رقية» رضي الله عنها - أم عبد الله -.

وكان المهاجرون على أرض الحبشة جميعاً، في غاية السعادة، ولا يشوب حياتهم رَنْقٌ ولا تكدير، وبخاصة «عثمان» و «رقية» ولكن كانت في حلوقهم غصة ومرارة، لم يسلم منهما أحد، سَبَّبهما البعد عن الأحباب، وفراق الأصحاب، ثم إن رجلاً من أهل مكة، قدم إلى الحبشة، فالتفَّ حوله المهاجرون، وراحوا يسألونه عن أهاليهم وأصحابهم ومعارفهم، فأخبرهم بتحسن الوضع في مكة، وزفَّ إليهم أجمل بشرى، قال الرجل: لقد آل الحال إلى الأفضل، فقد أسلم «حمزة بن عبد المطلب»، ثم أعقبه بعد أيام إسلام «عمر بن الخطاب» رضي الله عنهما، فاستبشر المهاجرون، وهاج حنينهم إلى «أم القرى» وأزمع بعضهم أن يعود، وكان بين هؤلاء العائدين «رقية» و «عثمان» رضي الله عنهما فقد اضطرمت الأشواق في صدريهما إلى رسول الله ﷺ و «الطاهرة خديجة»، حتى إذا وصل العائدون إلى مشارف مكة، لقيهم بعض رجال قريش، فسألوهم عن أحوال الناس في مكة، فما سرهم الجواب، وتشاوروا حول دخول مكة أو العودة إلى الحبشة، فآثر بعضهم العودة، وفضل بعضهم دخول مكة متخفين، لقد دفعهم لهيب الأشواق إلى أحبتهم، إلى المخاطرة بحياتهم، فدخلوا مكة خائفين وجلين، وصغَّرت رؤية رسول الله ﷺ عندهم كل خطر، ولم ينسوا الأخذ بأسباب

الحذر، ولما اكتحلت عيونهم بطلعة السراج المنير، والبشير النذير سَلَتْ نفوسهم متاعب الذهاب والإياب، وهان كل شيء عندهم بعد لقاء الأحباب. وأخبروا رسول الله ﷺ عن كرم «النجاشي» وحسن وفادته، فدعا له بخير.

ولما علمت قريش بعودة بعض المهاجرين، تمادت في طغيانها، وأسرفت في بغيها وغيها، ورفعت وتيرة العذاب، ونال «عثمان» من أقربائه وذويه الأذى الكثير، فاستعان بأعظم ناصح ومشير، فنصح له ﷺ بالعودة إلى الحبشة، وقبل انطلاق «عثمان» و «رقية» مع ثلة من المؤمنين والمؤمنات، راحت -أم المؤمنين- «خديجة» تضم «رقية» إلى صدرها، وتملأ من حسنها عينيها، وكان قلبها حدثها أن هذا آخر العهد برؤيتها، ولم يكف رسول الله ﷺ عن الدعاء للعائدين، متعيناً بالله على كشف كروب المسلمين، وهكذا كانت لهم هجرتان، وأخرج الحافظ الذهبي في سيره عن هجرة «رقية» و «عثمان»رضي الله عنهما : هاجرت معه إلى الحبشة الهجرتين جميعاً، وفيهما قال رسول الله ﷺ : (إنهما لأول من هاجر إلى الله بعد لوط)[1] ، وعادا إلى جوار «النجاشي» أكرم جوار.

وألجأت قريش رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين ومن يؤيدهم من المشركين إلى شعب «أبي طالب» وفرضت عليهم حصاراً غاشماً حظر عليهم الطعام والشراب، إلا ما كان يسربه لهم أهل الشهامة والنخوة والوفاء، ومنعت النكاح منهم وإليهم، واستمر هذا الوضع الأليم ثلاث سنوات، ثم نادى بعض المشركين لفك الحصار عن أقاربهم وذوي رحمهم، ورأوا عاراً عليهم أن يأكلوا ويشربوا وينكحوا، وأقاربهم من كل ذلك محرومون، وعارض بعضهم مطالبين بإبقاء الحصار، لكن لم يؤخذ بقولهم، وانتصرت إرادة الخير على رغبات الأشرار، وانطوت صفحة أظلم حصار.

(1) سير أعلام النبلاء (2/ 251).

غير أن آثار الحصار، وسوء عواقبه، بدأت تظهر تباعاً، فقد سقط «أبو طالب» بين براثن المرض، وقلق رسول الله ﷺ عليه، وخشي أن يموت قبل أن يحقق له أغلى أمنية لديه، ولما اشتد مرضه جاء وفد من رجال قريش وأكابرها، وكان بصحبتهم أشقاهم «أبو جهل»، ولما أوشك «أبو طالب» أن يفارق الحياة سأله رسول الله ﷺ أن ينطق بشهادة التوحيد، فأبى، فقد كان الخبيث «أبو جهل» قائماً على رأسه يحذره من ترك ملة - عبد المطلب - ثم فارق الحياة دون أن يحقق رغبة ابن أخيه، وحزن رسول الله ﷺ لذلك أعمق الحزن، فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: 56].

وقد جاء في تفسير الألوسي للآية[1]، عن ابن عباس أنه قال: [﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ إلخ نزلت في «أبي طالب» ألح النبي ﷺ أن يُسْلِمَ فأبى، فأنزل الله تعالى هذه الآية، والحديث عند البخاري ومسلم وأحمد والنسائي وغيرهم عن سعيد بن المسيب، عن أبيه، نحو ذلك].

وذكر الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: 113] [فقد أخرج أحمد، وابن أبي شيبة، والبحاري، ومسلم، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في الدلائل، وآخرون، عن المسيب بن حزن، قال: لما حضرت «أبا طالب» الوفاة، دخل عليه النبي ﷺ، وعنده «أبو جهل» و«عبد الله بن أبي أمية» فقال النبي عليه الصلاة والسلام: (أي عم، قل: لا إله إلا الله أُحَاجُّ لك بها عند الله)، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب! أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فجعل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، وأبو جهل وعبد الله يعاودانه بتلك المقالة، فقال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال النبي ﷺ «لأستغفرن لك ما

(1) روح المعاني (20/ 97).

لم أُنْه عن ذلك» فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ الآية]، ثم ذكر بعد ستة أسطر الحديث الذي أخرجه ابن سعد وابن عساكر عن «علي» كرَّم الله تعالى وجهه، قال: أخبرت رسول الله ﷺ بموت «أبي طالب» فبكى، فقال: «اذهب فغسله وكفنه وواره، غفر الله له ورحمه» ففعلت، وجعل رسول الله ﷺ يستغفر له أياماً، ولا يخرج من بيته حتى نزل عليه «جبريل» عليه الصلاة والسلام بهذه الآية ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ الخ، فإنه ظاهر في أن النزول قبل الهجرة، لأن عدم الخروج من البيت فيه مغيابه، اللهم إلا أن يقال بضعف الحديث، لكن لم نر من تعرَّض له، والأَوْلى في الجواب عن أصل الاستبعاد أن يقال: إن كون هذه السورة من أواخر ما نزل باعتبار الغالب كما تقدم فلا ينافي نزول شيء منها في المدينة، والآية على هذا، دليل على أن «أبا طالب» مات كافراً، وهو المعروف من مذهب أهل السنة والجماعة][1]- هـ.

ولم تمض على رحيل «أبي طالب»، إلا أيام قلائل، حتى دهم المرض أم المؤمنين «خديجة»، وتحلق رسول الله ﷺ وبناته وصدائق «خديجة» حول سريرها، وقد تملكهم قلق شديد عليها وخوف، وما لامرىء حيلة إذا أزف الأجل واقترب، ولكن هل من طائر جَلْدٍ قوي الجناح يحمل لها «رقية» حتى تكحل عينيها بنظرة أخيرة من وجهها الصبيح، فتكون زاداً لها في سفرها البعيد؟ ولكن هيهات ثم هيهات.

إن الحصار استأصل من «خديجة» قواها فلم تقو على مقاومة المرض، وما لبثت أن فارقت الحياة- رحمها الله تعالى-.

لقد كان عاماً ثقيل الوطأة على نفس رسول الله ﷺ إذ فقد فيه أعز نصير، وهو «أبو طالب» وأصدق وزير، وهي السيدة «خديجة»، ولهذا سمي «عام الحزن». ومن مثل رسول الله ﷺ يفوض أمره إلى الله، ويسأله الصبر على بلواه؟.

---

(1) روح المعاني (11/ 33).

المفاجأة المذهلة: ولما عاد المهاجرون من الحبشة، أسرعت «رقية» إلى بيت والديها، فلم تجد غير أختيها «أم كلثوم» و «فاطمة» وسألت عن أبيها، فقيل لها: لقد خرج ليسلم على العائدين، ولما همت بسؤالها الثاني انفجرت أختاها بالبكاء، فعلمت أن الحبيبة الغالية قد لبَّت نداء ربها. وكانت المفاجأة مذهلة، والمصاب فادح، غير أن «رقية» حاولت أن تتماسك، وراحت تسترجع وتستغفر لها، وتستمطر الرحمات، من فاطر الأرض والسماوات.

الهجرة إلى يَثْرِب: بعد أن أذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى يثرب، انطلق «عثمان» وامرأته «رقية» إلى المهاجَر الجديد، ولما حَلَّ رسول الله ﷺ بيثرب، واستقر مقامه فيها غيَّر اسمها إلى المدينة، وأخذ يوطد أركان الدولة الإسلامية.

وكانت حياة «رقية» في المدينة سعيدة لأن شملها اجتمع بأخواتها الثلاث: زينب - أم كلثوم - فاطمة، ولكن فقدهن لأمهن خلَّف في قلوبهن جرحاً عميقاً لا يندمل.

مرض «رقية» ووفاتها: وفي السنة الثانية للهجرة المباركة، أصيبت «رقية» بمرض الحصبة، وغدت طريحة الفراش، وكان زوجها «عثمان» في قلق شديد عليها مخافة أن ينقطع نسبه برسول الله ﷺ فكان إلى جانب سريرها لا يكاد يفارقها، وذات يوم سمع «عثمان» منادي رسول الله ﷺ يدعو الناس للخروج إلى بدر فبادر «عثمان» بتجهيز نفسه والاستعداد ملبياً النداء، حتى إذا علم رسول الله ﷺ بما عزم عليه «عثمان» أمره أن يلزم فراش «رقية» والسهر على تمريضها، وما «عثمان» إلا جندي في جيش «محمد» ﷺ، ولم يكن يملك غير الامتثال لأمر القائد، فترك جهازه، وأقام إلى جانب الحبيبة الغالية. وكان الهدف من خروج رسول الله ﷺ بالمسلمين ليس القتال، وإنما لاعتراض قافلة لقريش فيها تجارتها وأموالها، والاستيلاء على ما فيها تعويضاً عن الأموال التي غصبتها قريش

للمهاجرين لقاء سماحها لهم بالهجرة، لكن قريشاً حين علمت أن المسلمين سيعترضون قافلتهم جيَّشوا جيشاً قوامه ألف رجل بكامل عدتهم وعتادهم واتجهوا إلى بدر، عند ذلك توجَّه رسول الله ﷺ بأصحابه إلى بدر وكانوا يعدون ثلاثمائة وثلاثة عشر.

والتقى الجمعان: جمع المؤمنين، وجمع المشركين. ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفرقان: 26] ، فقد سقط من زعماء الشرك، وأكابر مجرميهم صرعى «أبو جهل» فرعون الأمة، وأبناء ربيعة «عتبة» وأخوه «شيبة» ، و«الوليد بن عتبة» و «أمية بن خلف»، و«أبي بن خلف» وقتل «النضر بن الحارث» و«عقبة بن أبي معيط» وسواهم. كانوا رؤسًا للشر والطغيان، فسقوا كؤوس الحمام والهوان ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: 33] وتكبدت قريش يومئذ سبعين قتيلاً وسبعين أسيراً، وعاد المسلمون إلى المدينة يقودهم قائد الغُرِّ المحجلين، ورسول رب العالمين، وعلى هاماتهم أكاليل الغار، بعد أن مَنَّ عليهم العزيز الجبار، بأعظم انتصار، وقبل أن يدخلوا المدينة فاضت روح ابنة رسول الله ﷺ الطاهرة «رقية» دون أن تتزود من أبيها بنظرة الوداع، قال ابن عباس رضي الله عنهما : لما عزي رسول الله ﷺ بابنته «رقية» قال: (الحمد لله، دفن البنات من المكرمات). ولما بلغ رسول الله ﷺ خبر رحيل «رقية» مضى إلى البقيع ووقف على قبرها، ودعا لها بما شاء الله أن يدعو، ثم أقبل على صهره«عثمان» يواسيه ببعض الكلمات ليخفف من مصابه، فوقعت كلماته وقوع الندى على الزهرة الظامئة، ولم يكن أمامهما إلا الرضا بقضاء الله، والتسليم لمشيئته، ولئن كان «عثمان» يعلم بأن ما عند الله خير وأبقى، إلا أنه لا علم له بهذا الذي يخبئه له الله من الخير، وضرب رسول الله ﷺ لعثمان بسهمه من بدر، فقال عثمان: وأجري يا رسول الله، قال: «وأجرك». وأضحت «رقية» ذكرى، رحمها الله تعالى.

السيدة رَمْلَة بنت أبي سفيان رضي الله عنها

هل أتاك حديث المؤمنة المهاجرة الصابرة الثابتة على الإيمان؟.

نسبها: إنها «أم حبيبة بنت أبي سفيان»، والدها «أبو سفيان صخر بن حرب» وأمها «صفية بنت أبي العاص بن أمية» وهي عمة«عثمان بن عفان» رضي الله عنه.

اختلف في اسمها فقيل: «رَمْلَة» وقيل: «هند»، والمشهور الأول، قاله ابن أبي خيثمة، نقلاً عن مصعب بن عبد الله [1]. وقال الإمام النووي في التهذيب: [اسمها «رملة»، وقيل: «هند» والصحيح المشهور «رملة» وبه قال الكثيرون][2].

وفي الاستيعاب لأبي عمر بن عبد البر: [اختلف في اسمها، فقيل: «رملة» وقيل: «هند»، والمشهور«رملة» وهو الصحيح عند جمهور أهل العلم بالنسب والسير، والحديث والخبر، وكذلك قال الزبير][3].

وجاء في سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي:« وهي من بنات عم الرسول صلى الله عليه وسلم، ليس في أزواجه من هي أقرب نسباً إليه منها»[4].

إسلامها وهجرتها: تزوجت رجلاً من بني جحش بن رئاب يدعى «عبيد الله» وهو أخو «عبد الله» و «أبي أحمد» الشاعر الضرير، وأخواته «زينب» و «حمنة» و «أم حبيبة»، وأسلمت مع زوجها مبكرين، ثم خرجا مهاجرين إلى الحبشة بعد أن تمادت قريش في إيذاء المسلمين، وكانت «رملة» حاملاً عند هجرتها، وعلى أرض الحبشة وضعت لزوجها مولودة أسمياها «حبيبة» فكنيت بها، وسُرَّ بها الزوجان أيَّما سرور، وغمرتهما السعادة والحبور، وملأت حياتهما بالنور.

---

(1) المستدرك (14/ 20).
(2) التهذيب (2/ 359).
(3) الاستيعاب (4/ 1843).
(4) سير أعلام النبلاء (2/ 219).

وعلى حين غرَّة، تحول السرور إلى أسًى، والسعادة إلى شقاء، والنور إلى ظلام، ذلك أن الزوج المؤمنة، والأم المسلمة، صحت ذات يوم لتسمع زوجها، وهو يخبرها بأسوإ خبر عن نبذه الإسلام، وارتداده إلى النصرانية التي كان يدين بها قبل إسلامه.

الخبر السيء والرؤيا الصادقة: أخرج ابن سعد في «الطبقات الكبرى» فقال: «أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا عبد الله بن عمر بن زهير عن إسماعيل ابن عمرو بن سعيد بن العاص قال:

قالت «أم حبيبة»: رأيت في النوم «عبيد الله بن جحش» زوجي بأسوإ صورة وأشوهه، ففزعت، فقلت: تغيرت والله حاله، فإذا هو يقول حيث أصبح: يا أم حبيبة! إني نظرتُ في الدين، فلم أر ديناً خيراً من النصرانية، فقلتُ: والله ما هو خير لك، وأخبرته بالرؤيا التي رأيت له، فلم يحفل بها، وأكب على الخمر حتى مات، فأرى في النوم كأنَّ آتياً يقول: يا أم المؤمنين! ففزعت، فأولتُها، أن رسول الله ﷺ يتزوجني. قالت: فما هو إلا أن انقضت عدتي، فما شعرت إلا برسول «النجاشي» على بابي يستأذن، فإذا جارية له يقال لها: «أبرهة» كانت تقوم على ثيابه ودهنه، فدخلت عليَّ، فقالت: إن الملك يقول لك: إن رسول الله ﷺ، كتب إليَّ أن أزوجكه. فقالت: بشرك الله بخير. قالت: يقول لك الملك: وكلي من يزوجك.

فأرسلتْ إلى «خالد بن سعيد بن العاص» فوكلتْه، وأعطت «أبرهة» سوارين من فضة وخَدَمَتَيْن، كانتا في رجليها، وخواتيم فضة، كانت في أصابع رجليها سروراً بما بشَّرتها.

فلما كان العشي أمر«النجاشي» جعفر بن أبي طالب، ومن هناك من المسلمين فحضروا. فخطب «النجاشي» فقال:

[الحمد لله الملك القدوس المؤمن المهيمن العزيز الجبار، أشْهد أن لا إلَه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأنه الذي بشَّر به عيسى ابن

مريم عليها السلام أما بعد، فإن رسول الله كتب إليَّ أن أزوجه «أم حبيبة بنت أبي سفيان» فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ، وقد أصدقها أربعمائة دينار، ثم سكب الدنانير بين يدي القوم.

فتكلم «خالد بن سعيد»، فقال: الحمد لله أحمده وأستعينه وأستنصره، وأشهد أن لا إلّه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، أما بعد، فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وزوَّجته «أم حبيبة بنت أبي سفيان» فبارك الله لرسول الله ﷺ، ودفع الدنانير إلى «خالد بن سعيد بن العاص» فقبضها.

ثم أرادوا أن يقوموا فقال: اجلسوا، فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج، فدعا بطعام فأكلوا، ثم تفرقوا، قالت «أم حبيبة»: فلما وصل إليَّ المال، أرسلتُ إلى «أبرهة» التي بشرتني، فقلت لها: إني كنت أعطيتك يومئذ، ولا مال بيديَّ فهذه خمسون مثقالاً فخذيها فاستعيني بها، فأبت، فأخرجت حُقًّا فيه كل ما كنت أعطيتها فردته عليَّ، وقالت: عزم عليَّ الملك ألَّا أرزأكِ شيئاً، وأنا التي أقوم على ثيابه ودهنه، وقد اتبعت دين «محمد» رسول الله ﷺ، وأسلمت لله، وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بكل ما عندهن من العطر قالت: فلما كان الغد جاءتني بعُود وورس وعنبر وزُبَّاد كثير، فقدمت بذلك كله على النبي ﷺ، فكان يراه عليَّ وعندي فلا ينكره. ثم قالت «أبرهة» فحاجتي إليك أن تقرئي رسول الله ﷺ مني السلام وتعلميه أني قد اتبعت دينه، قالت: ثم لطفت بي، وكانت التي جهزتني، فكانت كلما دخلت عليَّ تقول: لا تنسي حاجتي إليك.

قالت: فلما قدمت على رسول الله ﷺ أخبرته كيف كانت الخطبة، وما فعلت بي «أبرهة»، فتبسم رسول الله ﷺ، وأقرأته منها السلام، فقال: (وعليها السلام ورحمة الله وبركاته) وكان «النجاشي» - رحمه

الله تعالى- قد جهزها وبعث معها[1] «شرحبيل بن حسنة» ليبلِّغها إلى رسول الله ﷺ.

بناء النبي ﷺ بأم حبيبة: لما علم رسول الله ﷺ بوصول «أم حبيبة» إلى المدينة، أمر «بلالاً» أن يأخذ بخطام بعيرها ويقودها إلى المنزل الذي أعده لها، ثم دخل عليها رسول الله ﷺ فوجد ريح الطيب الذي أهدته إليها نساء «النجاشي» فقال: (قرشيات بطاحيات قرويات لَسْنَ بأعرابيات ولا بدويات) ثم بنى بها رسول الله ﷺ، وكان ذلك بعد صلح الحديبية، وأصبحت أماً للمؤمنين.

وأخرج ابن سعد في طبقاته عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: 7] نزل حين تزوج النبي ﷺ «أم حبيبة بنت أبي سفيان»[2].

وجاء في تاريخ ابن أبي خيثمة عن مصعب بن عبد الله الزبيري، قال: تزوج رسول الله ﷺ «أم حبيبة» زوَّجه إياها «النجاشي» فقيل لأبي سفيان يومئذ - وهو مشركٌ محاربٌ رسول الله ﷺ -: إن محمداً قد نكح ابنتك، قال: «فذاك الفحل لا يقرع أنفه»[3]. أي: كفاء كريم لا يرد.

الولاء لله وللرسول ﷺ: كانت «أم حبيبة» حصيفة الرأي، نافذة الفكر، وقد أوتيت رشداً علمت به أن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولذا أبت أن تطيع زوجها «عبيد الله بن جحش» وتتابعه في تحوله إلى النصرانية، ذلك أنها ذاقت حلاوة الإيمان، فكيف تستبدل بها مرارة الكفر؟.

وقد دفعها الوفاء لدينها، والاعتزاز بإيمانها إلى ذلك الموقف المشرف الذي وقفته ضد أبيها دون أن تأبه لسخطه أو ترهب من سطوته، وذلك أن قريشاً بعثت «أبا سفيان بن حرب» إلى المدينة ليشدِّد عقد صلح الحديبية مع

(1) طبقات ابن سعد (8/ 97-98).
(2) الطبقات (8/ 99).
(3) المستدرك (4/ 22).

رسول الله ﷺ ويزيد في المدة، يقول ابن جرير الطبري في تاريخه: [ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخل على ابنته «أم حبيبة بنت أبي سفيان». فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه، فقال: يا بنية! والله ما أدري أرغبتِ بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك نجس، فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ، قال: والله لقد أصابك يا بنية! بعدي شر، ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ، فكلمه فلم يردد عليه شيئاً، ثم ذهب إلى «أبي بكر» فكلمه أن يكلم له رسول الله ﷺ، فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى «عمر بن الخطاب»، فكلمه فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول الله! فوالله لو لم أجد إلا الذرَّ لجاهدتكم، ثم خرج فدخل على «علي بن أبي طالب» رضي الله عنه وعنده «فاطمة» ابنة رسول الله ﷺ، وعندها «الحسن بن علي»غلام يدبُّ بين يديها، فقال: يا علي! إنك أمسُّ القوم بي رحماً، وأقربهم مني قرابة، وقد جئت في حاجة، فلا أرجعن كما جئت خائباً، اشفع لنا إلى رسول الله! قال: ويحك يا أبا سفيان! والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه، فالتفت إلى «فاطمة» فقال: يا ابنة«محمد»! هل لك أن تأمري بُنَيَّك هذا فيجير بين الناس، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر!.

قالت: والله ما بلغ بُنَيِّي ذلك أن يجير بين الناس، وما يجير على رسول الله ﷺ أحد.

قال: يا أبا الحسن! إني أرى الأمور قد اشتدت عليَّ فانصحني، فقال له: والله ما أعلم شيئاً يغني عنك شيئاً، ولكنك سيد كنانة، فقم فأجِر بين الناس، ثم الحق بأرضك، قال: أوَ ترى ذلك مغنياً عني شيئاً؟ قال: لا، والله ما أظن، ولكن لا أجد لك غير ذلك.

فقام «أبو سفيان» في المسجد، فقال: أيها الناس! إني قد أجرتُ بين الناس، ثم ركب بعيره فانطلق. فلما قدم على قريش، قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت «محمداً» فكلمته، فوالله ما ردَّ عليَّ شيئاً، ثم جئت «ابن أبي

قحافة» فلم أجد عنده خيراً، ثم جئت «ابن الخطاب» فوجدته أعدى القوم، ثم جئت «علي بن أبي طالب» فوجدته ألين القوم، وقد أشار عليَّ بشيء صنعتُه، فوالله، ما أدري هل يغنيني شيئاً أم لا؟. قالوا: وبماذا أمرك؟ قال: أمرني أنأ جير بين الناس، ففعلت، قالوا: فهل أجاز ذلك «محمد»؟ قال: لا، قالوا: ويلك! والله، إن زاد على أن لعب بك، فما يغني عنا ما قلت؟ قال: لا، والله، ما وجدت غير ذلك، قال: وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز، وأمر أهله أن يجهزوه](1).

ثم أعلم رسول الله ﷺ الناس أنه سائر إلى مكة، فقد كان على موعد مع الفتح العظيم. وهكذا فرض الإيمان على «أم حبيبة» أن تقف الموقف الشجاع الذي وقفته، لأن الولاء لله ولرسوله ﷺ مقدمٌ على كل ولاء سواه. وإن الإهانة التي لقيها «أبو سفيان» من رسول الله ﷺ وأصحابه وابنته، جديرة بمشرك آثر عبادة الحجارة على عبادة من خلقه وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، ولو أنه أتى رسول الله ﷺ وأصحابه وابنته، وهو مسلم للقي منهم أبلغ الحفاوة وأعظم التكريم، وليس شيء كالشرك يستحق الازدراء والهوان.

حزنها وأم سلمة لوفاة النجاشي: لما بلغ رسول الله ﷺ وأصحابه وفاة «النجاشي» صلوا عليه صلاة الغائب، وقد حزنت هي وأم سلمة أشد الحزن لموته لما لقيتا من لطفه بهما، وحسن معاملته لهما ولسائر المهاجرين إبَّان وجودهم في الحبشة، وأطلقتا لسانيهما بالدعاء إلى الله أن يرحمه ويغفر له، وما دفعهما إلى ذلك إلا الوفاء الذي اقتبستاه من نبي الرحمة ﷺ.

أمل «أم حبيبة» يتحقق: كان عداء (أبي سفيان) للإسلام يقلق «أم حبيبة» كثيراً، وكان أخشى ما تخشاه أن يموت على ما مات عليه زعماء قريش يوم بدر، وكانت تدعو الله أن يهديه إلى الدين الحنيف. واستجاب الله لأم

(1) تاريخ الطبري (3/ 46-47).

حبيبة، وأثلج صدرها نبأ إسلام أبيها يوم الفتح العظيم، بعد أن هوت أصنام مكة على مناخرها، وانسلخ عنها ظلام الشرك إلى الأبد.

فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: [لما نزل رسول الله ﷺ مر الظهران، قال العباس بن عبد المطلب، وقد خرج رسول الله ﷺ من المدينة: يا صباح قريش - يستعمل هذا اللفظ للإنذار بالغارة - والله، لئن بَغَتَهَا رسول الله ﷺ في بلادها، فدخل مكة عَنْوَةً، إنه لهلاك قريش آخر الدهر! فجلس على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، وقال: أخرج إلى الأراك لعلِّي أرى حطاباً أو صاحبَ لبن، أو داخلاً يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ فيأتونه فيستأمنونه، فخرجت، فوالله، إني لأطوف في الأراك ألتمس ما خرجت له، إذ سمعت صوت «أبي سفيان بن حرب» و«حكيم بن حزام» و«بديل ابن ورقاء»، وقد خرجوا يتحسون الخبر عن رسول الله ﷺ.

فسمعتُ أبا سفيان وهو يقول: والله ما رأيت كاليوم قط نيراناً! فقال بديل: هذه والله نيران خزاعة، حمشتها الحرب! فقال أبو سفيان: خزاعة ألأم من ذلك وأذل! فعرفت صوته، فقلت: يا أبا حنظلة! فقال: أبو الفضل! فقلت: نعم، فقال: لبيك فداك أبي وأمي! فما وراءك؟ فقلت: هذا رسول الله ﷺ ورائي قد دَلَفَ إليكم بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين، قال: فما تأمرني؟ فقلت: تركب عجز هذه البغلة، فاستأمن لك رسول الله، فوالله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فردفني فخرجت به أركض بغلة ﷺ نحو رسول الله ﷺ، فكلما مررت بنار من نيران المسلمين، ونظروا إليَّ، قالوا: عم رسول الله ﷺ على بغلة رسول الله ﷺ حتى مررت بنار «عمر بن الخطاب»، فقال: أبو سفيان؟ الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد، ثم اشتد نحو النبي ﷺ، وركضت البغلة، وقد أردفت أبا سفيان، حتى اقتحمتُ على باب القبة، وسبقت «عمر» بما تسبق به الدابة البطيئة الرجل البطيء، فدخل «عمر» على رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! هذا أبو سفيان عدو الله، قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد، فدعني أضرب عنقه، فقلت: يا رسول الله! إني قد أجرته! ثم جلست إلى رسول

الله ﷺ فأخذت برأسه، فقلت: والله لا يناجيه اليوم أحد دوني! فلما أكثر فيه «عمر» قلت: مهلاً يا عمر! فوالله ما تصنع هذا إلا لأنه رجل من بني عبد مناف، ولو كان من بني عديٍّ بن كعب ما قلت هذا، فقال: مهلاً يا عباس! فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحبَّ إليَّ من إسلام الخطاب لو أسلم! وذلك لأني أعلم أن إسلامك كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم، فقال رسول الله ﷺ: (اذهب فقد آمناه حتى تغدو به عليَّ بالغداة)، فرجع به إلى منزله، فلما أصبح غدا به على رسول الله ﷺ، فلما رآه قال: «ويحك يا أبا سفيان! ألم يَأْن لك أن تعلم أن لا إلَه إلا الله؟». فقال: بأبي أنت وأمي، ما أوصلك وأحلمك وأكرمك! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً، فقال: (ويحك يا أبا سفيان! ألم يَأْن لك أن تعلم أني رسول الله؟)، فقال: بأبي أنت وأمي، ما أوصلك وأحلمك وأكرمك! أما هذه ففي النفس منها شيء! فقال العباس: فقلت له: ويلك! تشهَّد شهادة الحق قبل والله أن تضرب عنقك، قال: فتشهَّد][1]. وهكذا، تحقق حلم «أم حبيبة» وقَرَّت عينها بإسلام أبيها.

كانت مجابة الدعوة: روى حميد بن هلال، قال: لما حوصر «عثمان بن عفان» رضي الله عنه أتته أم المؤمنين «أم حبيبة» فجاء رجل فاطَّلع في خدرها، فجعل ينعتها للناس، فقالت: (ماله؟ قطع الله يده، وأبدى عورته) قال: فدخل عليه داخلٌ، فضربه بالسيف فألقى بيمينه فقطعها، وانطلق هارباً آخذاً إزاره بفيه أو بشماله بادياً عورته.

لقد كانت «أم حبيبة» صادقة مع ربها، مخلصة في إيمانها، فلما دعته استجاب لها، إنه خير مجيب.

روايتها للحديث الشريف: لها في كتب الحديث خمسة وستون حديثاً، واحد عند مسلم، واثنان اتفق عليهما الشيخان، وقد روى عنها «عروة بن

(1) انظر تاريخ الطبري (3/ 52-54).

الزبير»، وأخواها «معاوية» و «عنبسة»، وأبو الجراح، ومن النساء «زينب بنت أبي سلمة» و «صفية بنت شيبة».

التزامها بأوامر النبي ﷺ: جاء في صحيح مسلم [عن النعمان بن سالم، عن عمرو بن أوس، قال: حدثني عنبسة بن أبي سفيان في مرضه الذي مات فيه بحديث يُتسَارُّ إليه - أي يُسَرُّ به- قال: سمعتُ «أم حبيبة» تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من صلى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة بُنِيَ له بهن بيت في الجنة).

قالت أم حبيبة: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ. وقال عنبسة: فما تركتهن منذ سمعتهن من أم حبيبة. وقال عمرو بن أوس: ما تركتهن منذ سمعتهن من عنبسة. وقال النعمان بن سالم: ما تركتهن منذ سمعتهن من عمرو بن أوس][1] وهن: ركعتا الفجر، وأربع قبل الظهر واثنتان بعده، واثنتان بعد المغرب واثنتان بعد العشاء، أعاننا الله على أدائهن.

ورعها رضي الله عنها: كانت «أم حبيبة» على جانب كبير من الورع، فقد جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: دعتني «أم حبيبة» زوج النبي ﷺ، فقالت: قد كان بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله ذلك كله، وتجاوزه، وحللتك من ذلك كله، فقالت عائشة رضي الله عنها: سررتني سرك الله، وأرسلت إلى «أم سلمة» فقالت لها مثل ذلك[2].

وفاتها: اختلف في سنة وفاتها فقيل: سنة أربع وأربعين، وقيل: تسع وخمسين، وقيل اثنتين وأربعين، والأول أثبت، ذكره أبو عمر وابن الجوزي.

وفي قصيدة لي نظمتها عن مناقب أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن -، خصصت السيدة «أم حبيبة» رضي الله عنها بهذه الأبيات:

---

(1) مسلم برقم (101-728).

(2) صفة الصفوة (2/46)، الطبقات لابن سعد (8/100).

من في النساء نظير أم حبيبةٍ؟ نالت رضاه بسخطة الآباءِ
لما نأت بفراشه عن والدٍ وأبت تَوَسُّدَ أعزَّ وِطاءِ
كي لا يُدَنَّسَ من نَجَاسَة شركه أزكى الأنام وأطهرُ الأمناءِ

رحمها الله تعالى.

السيدة رملة بنت شيبة رضي الله عنها

نسبها: اسمها «رملة» وأبوها «شيبة بن ربيعة بن عبد شمس» وهي ابنة عم «هند بنت عتبة» وابنة عم «أبي حذيفة بن عتبة» وأمها «أم شراك بنت وقدان ابن عبد شمس».

وكان أبوها «شيبة» وعمها «عتبة» من ألد أعداء رسول الله ﷺ وأشدهم إيذاء للمسلمين. تزوجت «عثمان بن أبي العاص» الثقفي وأسلما وبايعا رسول الله ﷺ وهو في مكة، وهاجرا بعد إلى المدينة.

ووهم أبو عمر بن عبد البر حين قال في الاستيعاب[1]: هاجرت مع زوجها «عثمان بن عفان» فإن «عثمان بن عفان» رضي الله عنه هاجر إلى الحبشة بزوجه «رقية بنت محمد» ﷺ، ثم هاجرا إلى المدينة، وتوفيت «رقية» منصرف المسلمين من بدر، ولعل اللبس حدث بين اسم «عثمان بن عفان» و «عثمان بن أبي العاص»، وقد عابت عليها ابنة عمها «هند» إسلامها فقالت:

لحا الرحمٰن صابئة بوَجٍّ ومكة عند أطراف الحجونِ
تدين لمعشر قتلوا أباها أقتل أبيكِ جاءكِ باليقينِ؟

ولما أسلمت «هند» يوم الفتح تبين لها أن ابنة عمها «رملة» كانت أرجح منها عقلاً، حين سبقتها إلى الإسلام. رحمها الله تعالى.

(1) الاستيعاب (4/ 1846).

السيدة ريحانة بنت زيد رضي الله عنها

هل أتاك حديث «ريحانة» القرظية، التي آثرت على الإسلام اليهودية، ثم دخلت واحة الإسلام الشذية، فعاشت عيشة هنية، في كنف خير البرية؟.

لما غزا رسول الله ﷺ بني قريظة، وقعت [«ريحانة» في السبي فأمر بها، فعزلت، وأرسلها إلى بيت «أم المنذر سلمى بنت قيس الأنصارية» أياماً حتى فرغ من توزيع السبي وقتل الأسرى بعد أن حكم «سعد بن معاذ» في بني قريظة. ثم أتى رسول الله ﷺ «أم المنذر» فاختبأت «ريحانة» حياءً منه، فناداها وكلمها، فمن «ريحانة» هذه؟.

نسبها: قال أبو عمر في الاستيعاب: [«ريحانة» سرية رسول الله ﷺ هي «ريحانة بنت شمعون بن زيد بن خنافة من بني قريظة، وقيل: من بني النضير، والأكثر أنها من بني قريظة، ماتت قبل وفاة النبي ﷺ، يقال: إن وفاتها كانت سنة عشر مرجعه من حجة الوداع][1].

رفضها الإسلام ثم قبولها به: لما كَلَم رسول الله ﷺ «ريحانة» في بيت «أم المنذر» عرض عليها الإسلام. وقد ذكر المحب الطبري في السمط الثمين أربع روايات، وفاقاً لما هو آتٍ:

[1- أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني صالح بن جعفر، عن محمد بن كعب قال: كانت «ريحانة» مما أفاء الله عليه، وكانت امرأة جميلة وسيمة، فلما قتل زوجها، ووقعت في السبي، وكانت صفيَّ رسول الله ﷺ يوم بني قريظة، فخيرها رسول الله ﷺ بين الإسلام وبين دينها، فاختارت الإسلام، فأعتقها رسول الله ﷺ، وتزوجها، وضرب عليها الحجاب.

2- أخبرنا عبد الملك بن سليمان، عن أيوب بن عبد الرحمٰن بن صعصعة بن بشير المعاوي، قال: لما سبيت قريظة، أرسل رسول الله ﷺ بـ «ريحانة» إلى بيت «سلمى بنت قيس - أم المنذر»، فكانت عندها حتى

(1) الاستيعاب (4/ 1847).

حاضت، ثم طهرت من حيضتها، فجاءت «أم المنذر» فأخبرت رسول الله ﷺ فجاءها رسول الله ﷺ في بيت «أم المنذر» فقال لها رسول الله ﷺ: (إن أحببت أعتقتك وتزوجتك، وإن أحببت أن تكوني في ملكي فعلت) فقالت: يا رسول الله! أكون في ملكك أخف عليَّ وعليك، فكانت في ملك رسول الله ﷺ يطؤها حتى ماتت.

وروي عن ابن سيرين: أن رجلاً لقي «ريحانة» بالموسم- بالحج - فقال لها: إن الله لم يرضك للمؤمنين أماً، فقالت: وأنت فلم يرضك الله لي ابناً. وهذا جواب مفحم لا يصدر إلا عن ذات عقل كبير.

3- أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا عاصم بن عبد الله بن الحكم، عن عمر ابن الحكم قال: أعتق رسول الله ﷺ «ريحانة بنت زيد بن عمر بن خُنافة»، وكانت عند زوج لها، محباً لها مكرماً، فقالت: لا أستخلف بعده أبداً، وكانت ذات جمال، فلما سبيت بنو قريظة، عرض السبي على النبي ﷺ فكنت فيمن عُرِضَ عليه، فأمر بي فعزلت، وكان يكون له صفي من كل غنيمة، فلما عزلتُ خار الله لي، فأرسل بي إلى منزل «أم المنذر بنت قيس» أياماً، حتى قتل الأسرى وفرق السبي، ثم دخل عليَّ رسول الله ﷺ فَتَنَحَّيْتُ منه حياء، فدعاني، فأجلسني بين يديه، وقال: (إن اخترت الله ورسوله اختارك رسول الله لنفسه). فقلت: فإني أختار الله ورسوله. فلما أسلمت أعتقني رسول الله ﷺ، وتزوجني، وأصدقني اثنتي عشرة أوقية ونَشًّا، كما كان يصدق نساءه، وأعرس بي في بيت «أم المنذر» وكان يقسم لي كما كان يقسم لنسائه، وضرب عليَّ الحجاب، وكان رسول الله ﷺ معجباً بها، وكانت لا تسأله شيئاً إلا أعطاها ذلك، ولقد قيل لها: لو كنتِ سألتِ رسول الله ﷺ بني قريظة لأعتقهم، وكانت تقول: لم يَخْلُ بي حتى فَرَّق السبي.

ولقد كان يخلو بها، ويستكثر منها، فلم تزل عنده حتى ماتت مرجعَه من حجة الوداع، فدفنها بالبقيع، وكان تزويجه إياها في المحرم سنة ست من الهجرة.

4- أخبرنا محمد بن عمر، حدثني عمر بن مسلمة، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي جَهَم قال: لما سبا رسول الله ﷺ «ريحانة» عرض عليها الإسلام، فأبت، وقالت: أنا على دين قومي، فقال رسول الله ﷺ: (إن أسلمت اختارك رسول الله لنفسه)، فأبت، فشقَّ ذلك على رسول الله ﷺ. فبينما رسول الله ﷺ جالس في أصحابه، إذ سمع خَفْقَ نعلَيْن، فقال: (هذا ابن سعية، يبشرني بإسلام «ريحانة»)، فجاءه فأخبره أنها قد أسلمت، وكان رسول الله ﷺ يطؤها بالمِلْك، حتى توفي عنها ﷺ][1].

طلاقه ﷺ لها ومراجعته إياها: وذات يوم تجاوزت في غيرتها الحد، فطلقها رسول الله ﷺ طلقة واحدة، وغادر بيت «أم المنذر»، فلما خلت لنفسها ندمت على ما بدر منها، وراحت تجهش بالبكاء، فأشفقت عليها «أم المنذر» وكلمت لها رسول الله ﷺ بشأن مراجعتها، فرقَّ لها ﷺ، وراجعها، ولما رضي عنها، أخذت تجتهد في إرضائه، وعدم قول أو فعل ما يغضبه منها حتى لقيت وجه ربها.

وفاتها: اختلف في وفاة «ريحانة» رضي الله عنها على رأيين ذكرهما ابن الأثير في «أسد الغابة» حين ترجم لها،الأول: ماتت مرجع النبي ﷺ من حجة الوداع، والثاني: أنها توفيت بعده ﷺ، والأول أرجح، ذكره أبو عمر في الاستيعاب. رحمها الله تعالى.

السيدة ريطة بنت الحارث رضي الله عنها

نسبها: اسمها «ريطة»، وفي «أسد الغابة»و«الإصابة»: «رائطة». أبوها «الحارث بن جَبَلة بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة»، وزوجها «الحارث بن خالد بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة».

إسلامها وهجرتها: أسلمت وزوجها مع الأوائل، ولما آذت قريش

(1) السمط الثمين (239-240-241-242).

أصحاب النبي ﷺ في دينهم، أذن لهم النبي ﷺ بالهجرة إلى الحبشة، فانطلقت «ريطة» وزوجها في طَليعة المهاجرين. وعلى أرض الحبشة، ولدت له «موسى» وأخواته «عائشة» و «زينب» و «فاطمة»، وعاشوا في سعادة غامرة.

وكانت «ريطة» حسنة التبعل لزوجها، وكان «الحارث» زوجها يحسن معاملتها، ولما عاد المهاجرون من الحبشة إلى مكة، استراحت أسرة «الحارث» قليلاً، ثم تابعوا سيرهم مهاجرين إلى المدينة، وفي الطريق أحس بعضهم بالعطش، فشربت «ريطة» وبنوها إلا «فاطمة» وأبوها، فهلكت أمها وإخوتها من تلك الشربة.

رحمهم الله تعالى.

السيدة زائدة رضي الله عنها

اسمها «زائدة»، وقيل: «زيدة» مولاة «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه. حدث الأوزاعي، عن واصل، عن أم نجيح، قال: قالت عائشة: كنت قاعدة عن النبي ﷺ إذ أقبلت «زيدة» جارية «عمر بن الخطاب»، وكانت من المجتهدات في العبادة، وكان النبي ﷺ يدنيها لما يعلم منها، فقالت: السلام عليك ورحمة الله، يا رسول الله! كنت عجنت عجيناً لأهلي، فخرجت لأحتطب، فإذا أنا برجل نقي الثياب، طيب الريح، كأن وجهه القمر، ليلة البدر، على فرس أغَرَّ محجَّل، فدنا مني، وقال: السلام عليك يا زائدة!.

فقلت: وعليك السلام، قال: هل أنت مُبْلِغَةٌ عني ما أقول؟ قلت: نعم، إن شاء الله عزَّ وجلَّ، فقال: إذا لقيت «محمداً» ﷺ فقولي: إني لقيت «الخَضِرَ» وهو يَقرئك السلام.. وذكر الحديث في فضل النبي ﷺ